

الأجرام السماوية

دراسة في الموروث الغوي

للدكتور يحيى عبدالرؤوف جبر

الأجرام السماوية أو العلوية اصطلاح أطلقه الفلكيون والحساب العرب على النجوم والكواكب، ولعل أول من استخدمه هو الكندي يعقوب بن إسحق حيث صنف عدداً من الرسائل في ذلك، منها: رسالة في أخبار أبعاد الأجرام، ورسالة في آلة عملها يستخرج بها أبعاد الأجرام، ورسالة في تناهي جرم العالم، وأخرى في الأجسام الهابطة من العلو^(١)، ونستعرض في هذه الدراسة الأسماء والصفات التي استخدمها العرب في التعبير عن السماء وما وقعت عليه أبصارهم فيها فسّموه أو علّموا به، مستشهدين لذلك كله بما أسعفتنا به مصادر التراث العربي المختلفة، وسنتعقب ذلك بتقسيم الدراسة إلى موضوعات نتناول في كل منها محوراً بعينه.

أولاً: السماء وأسمائها وصفاتها:

السماء هي ما تراه فوق الأرض كأنه قبة، تجري فيها الكواكب والنجوم، وهي مفردٌ، أو جمع سماءٍ، واشتقاقها من سما يسمو، ارتفع يرتفع. وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من اثنتين وتسعين ومئتي مرة، معظمها في صيغة الجمع "سموات، السموات"، وذلك أنها سبع قد طوبق بعضها فوق بعض.

(١) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢٨٩ وما بعدها.

وتسمى **السبع الطباق**، لما أسلفنا، وقد اعتقد البابليون^(٢) من قبل أن الأرضين سبع وأن السموات سبع، والسموات في البابلية Tupiqati^(٣)، وهي تناظر "الطباق" العربية، وكانوا يجعلون لكل طبقة واحداً من النيرين: الشمس والقمر، والكواكب الخمسة المتحيرة: زحل، والمشتري، والمريخ، وعطارد، والزهرة، وقال الفرزدق: وافر

أضاء الأرض والأخرى عليها من السبع الطباق بكل شهر^(٤)

ولا شك في أنه متأثر في ذلك بالنص القرآني.

وينظر السماء في العبرية Oine^(٥) شمائم، بصيغة الجمع، وفي البابلية سَمُو: السماء أيضاً.

وهي **الصفیح الأعلى**، لاستوائها وعلوها. وفي الحديث عن عليّ وعمّار "الصفیح الأعلى من ملكوته"^(٦).

وبرقع، علماً عليها، وقد تدخله اللام- البرقع، وأراه منحوتاً من البقع والرقع، **والرقيع** من أسمائها، وسيأتي. وقد سميت به تشبيهاً بالواحد من البراقع، لأنها تجلج الأرض. وقال أمية بن الصلت: كامل

كأنّ برقعَ والملائك حولها سِدْرٌ تواكله القوائم، أجرد^(٧)

(٢) سارتون ص ١٨٥.

(٣) كارلو نلينو- الفلك في العصور الوسطى ص ١٠٥.

(٤) الفرزدق ص ٤٢١.

(٥) Ben Yehuda P. 246.

(٦) اللسان (صفح).

(٧) جمهرة اللغة ٣/٣٠٨.

والخضراء، لزرقتها، وكل أزرق فهو أخضر عند العرب، والبحر أخضر وفي الحديث "ما أظلت الخضراء"^(٨)، أي السماء.

وهي جربة النجوم، أي مزرعة النجوم، لأن النجوم تبدو كأنما زرعت فيها، قال الشاعر:

وخوت جربة النجوم فما م تشربُ أرويةً بِمَرِيّ الجنوب^(٩) خفيف

وهي الجرباء، وذلك من المجاز، لكثرة نجومها وتناثرها فيها، فكأنها بشرة جرباء. قال أسامة بن حبيب: طويل

أرثه من الجرباء في كل موطن طباباً فمثواه، النهار، المراكذ^(١٠)

والشعر في حمار اضطرته الأثنُ إلى اللواز بالمنخفضات، فهو لا يرى من السماء إلا بعضها.

وجربة القراح، والقراح الماء العذب حين يتنزل من السحب، وهي لا تكون إلا في وجهة السماء، أو لاعتقاد بعضهم أن السحب تأتي بالماء من السماء^(١١). وهي الطرائق، والطرائق جمع طريقة، وهي المدار، لأن الكواكب الخمسة المتحيرة والشمس والقمر تجري فيها. وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة. وقيل: لأنها طرق الملائكة ومعارجهم. قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا فِرْقَانًا سَبْعَ طَرَائِقَ"^(١٢)، أي سبع سموات، وهي الرقيع، وهي السماء الدنيا، وكل سماء

(٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٣٩/٢.

(٩) معجم مقاييس اللغة (جرب).

(١٠) السكري (شرح أشعار الهذليين) ط القاهرة، ص ١٢٩٧.

(١١) ابن قتيبة - الأنواء - ص ١٢٥.

(١٢) المؤمنون - الآية ١٧، وانظر لتفسيرها الكشاف للزمخشري ١٧٩/٣.

فوقها رقيق، لأنها مرقعة بالنجوم، فعيل بمعنى المفعول، والجمع أرقعة. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لسعد بن معاذ: "لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة"^(١٣) أي: سبع سموات.

والمسموكات، السموات، من السمك: الرُّفَع، قال تعالى: "أأنتم أشدُّ خلقاً أم السماءُ بناها ﴿﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا"^(١٤).

ثانياً: المجرة، وأسمائها:

المجرة لغة: المكان يكون فيه الجرّ، مِفْعَلَةٌ من جَرّ - الثقل إذا لم يقو على حمله-: فسحبه على الأرض. وهي المكان إلى جانب البئر تروح السانية فيه وتجيء، وما يزال الحجازيون على هذه التسمية إلى يومنا الحاضر. واعتقد أن كعباً قصدها بقوله:

واضح اللون كالمجرة لا يَعمُ دَمَ يوماً من الأهابيِّ مُوراً^(١٥) خفيف

وذلك لكثرة ما توطأ ويدقّ ترابها. والبيت في طريق ذكره في بيت سبقه. والمجرة، مجازاً، هي ما تراه في جو السماء كأنه نهر أو سحابة رقيقة طويلة، وهي، في الحقيقة، عدد لا يحصى من النجوم والكواكب النائية، ووضوحها ليلاً في السماء كوضوح مجرة البئر إذا قورنتا بما يليهما من السماء والأرض. قال عمر بن أبي ربيعة:

(١٣) ابن هشام - السيرة، ط جوتنجن سنة ١٨٥٩ - ٦٨٩/٢.

(١٤) سورة النازعات ٢٧، ٢٨.

(١٥) شرح ديوان كعب بن زهير ص ١١٦.

أراقب في المجرة كل نجم

تعرّض، أو على المجرة يجري^(١٦) وافر

والمجرة هي الجرى والمسار والمدار، مفعلة من جرى يجري. لأن الأجرام العلوية تجري فيها.

وهي شرح السماء، تشبيهاً بشرح الحرة، وهو المسيل فيها. وقد سأل الكواً علياً - كرم الله وجهه - عن المجرة فقال: هو شرح السماء^(١٧) وهي أم النجوم، وذلك لكثرتها فيها، كنية لها، قال تأبط شراً:

يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى

بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك^(١٨)

أي: يهتدي لوجهته باعتماده اتجاه المجرة، وهو يختلف باختلاف الفصول. وهي باب السماء، تشبيهاً لها بالباب في أي سبكر، ويكون واضحاً، وفي الحديث النبوي الشريف أنها "باب من أبواب السماء"^(١٩).

ويطلق على المجرة في بعض اللهجات العربية^(٢٠) اسم طريق التّبانات، أي: طريق النسوة اللاتي ينقلن التبن من البيدر إلى مخزنه، فيتساقط منه على الأرض ما تتضح به الطريق ليلاً، ونظيره في السريانية (اهنسا ولسا)

(١٦) المبرد - الكامل - ٣٨٩/١، وانظر لمثله ديوان ابن مقبل ٦٧ وابن المعتز ٣٦٧.

(١٧) البخاري ص ١٥٤.

(١٨) المرزوقي - شرح الحماسة - ٩٩/١ ومعجم المقاييس (أمم).

(١٩) البخاري ص ١٥٤.

(٢٠) في معظم اللهجات الشامية (بلاد الشام).

ارحود تبنو أي: طريق التبن، أو «لحشا» تبنو^(٢١)، اكتفاء بالمضاف إليه. وهذا جار على اعتبار اللون، ومثله قولهم في الإنجليزية Milkyway أي: الطريق اللبني، لجامع اللون أيضاً.

ثالثاً: الكواكب والنجوم

لم يك عرب الماضي يفرقون بين الكواكب والنجوم، ذلك أنهم لم يبلغوا من العلم ما يمكنهم من إدراك ما توصل إليه العلم الحديث.

وقد استخدم اللفظان "كوكب، ونجم" لدلالة واحدة في كثير من آثارهم، هذا إلى جانب استخدام كلمة "النجم" معرفة للتعبير عن الثريا دون غيرها. ومن ذلك الحديث "إذا طلع النجم رفعت العاهات"^(٢٢) والمقصود آفات النخل، أي أنه لا يظل منها شيء بعد طلوع الثريا. ومن أشعارهم قول الكميت بن زيد:

تصل النتائج إلى اللقاح مُرَّةً لخفوق كوكبها وإن لم يخفق^(٢٣) طويل

والمقصود لغروب كوكبها أو نجمها. وقال غيره:

وقوم هم كانوا الملوك هديتهم بظلماء لا يبدو بها ضوء كوكب^(٢٤) طويل

والمقصود ها هنا الكواكب والنجوم على حد سواء. وقال ذو الرمة:

(٢١) P. Smith P. 603.

(٢٢) سيأتي فيما بعد.

(٢٣) ديوان الكميت بن زيد ٢٧٥/١.

(٢٤) أبو زيد - النوادر، ط بيروت، ص ٣٣١.

يعتسفان الليل ذا الكؤود

أمّا بكل كوكب حريد^(٢٥) رجز

أي مهتدين بكل نجم منعزل، وذلك أوضح له. وفي المثل يقولون في القوم إذا تفرّقوا في البلدان: "ذهبوا تحت كل كوكب"^(٢٦)، أي: تفرّقوا.

وتشير هذه الشواهد إلى أنهم كانوا يقصدون بالكواكب أجرام السماء التي تظهر ليلاً، سواء في ذلك الكواكب والنجوم.

واعتقد أن العرب كانت تخص الكواكب بما كبر من أجرام السماء، وكان نيّراً بشكل متميز. ويتضح ذلك في قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: "فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا، قَالَ: هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَا أُجِبُّ الْآفَلِينَ ❁ فلما رأى الْقَمَرَ بَارِعًا، قَالَ: هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الضَّالِّينَ ❁ فلما رأى الشمسَ بازغةً قال: هذا ربي، هذا أَكْبَرُ، فَلَمَّا أَفَلَتْ، قَالَ يَا قَوْمِ: إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"^(٢٧) حيث يشير قوله هذا أكبر إلى كبر الكوكب أو النجم الذي رآه بادية الأمر بالقياس المنطقي.

ومما يؤكد ما تقدم ما رواه جابر رضي الله عنه من أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف - يعني الكواكب من قوله تعالى على لسان يوسف لأبيه يعقوب: "إني رأيتُ أحد عشر

(٢٥) ابن دريد - الجمهرة - ١٢٠/٢.

(٢٦) الطرابلسي- فرائد اللال في شرح مجمع الأمثال ٢٢٧/١، وانظر لمزيد ديوان علقمة ص ١٢٠ وامرئ القيس ٢٤٤ "كوكب النحس"، ٣٨٣ "ولا ضوء كوكب"، والكميت ١٤٤/١ "الكواكب الثقب".

(٢٧) سورة الأنعام ٧٦-٧٨.

كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين" (٢٨) - فسكت النبي ونزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك، فقال النبي لليهودي: إن أخبرتك بهنّ هل تسلم. قال: نعم، قال: جريان، والطارق، والدّيال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمُصْرِيح، والضَّرُوح، والفرغ، ووثاب، وذو الكتفين، رآها يوسف، والشمس والقمر، نزلن من السماء وسجدن له، فقال اليهودي: إي والله، إنها لأسماؤها (٢٩). ولا يخالج ذهن امرئٍ أن نجماً غير نيّر يستحق أن يقرن في هذه الآية بالشمس والقمر وهما أكبر ما يرى من أجرام السماء.

الكواكب الخنّس... والكُنّس:

وهي ما عرف من بعد عند الفلكيين والْحُسَّاب باسم الكواكب الخمسة المتحيرة. والنعتان "الخنس والكنس" قرآنيان وحسب، وقال تعالى: "فلا أقسم بالخنّس * الجوّاري الكُنّس" (٣٠). وهي خُنّس لانقباضها راجعة عن مواضعها في الليالي، فإذا راقبت الزهرة "نجمة الصبح عند بعض المُحدّثين" وكانت على ارتفاع ٤٠° غَرْباً، ثم رصدتها في الليلة التالية، في نفس الوقت الذي كان فيه ذلك من الليلة قبلها وجدت أنها ارتفعت متراجعة لتكون على ارتفاع ٤٥° أو أكثر. وهكذا ليلة فليلة إلى أن تختفي فلا تعود تظهر حتى تكمل دورتها في فلك البروج.

والخَنّسُ أصلاً تراجع مقدم الأنف واطمئنانه، وهو من العيوب الخلقية، لذلك بنوا منه أفعل فعلاء، فقالوا أخنس، ومن ذلك: الأخنس بن شهاب الذهلي، وخنساء - تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية. وقد يتبادر إلى

(٢٨) سورة يوسف ٤.

(٢٩) عن الحاكم في الكشاف للزمخشري ٤٤٣/٢.

(٣٠) سورة التكوير ١٥-١٦.

الذهن سؤال: كيف توجه هذه التسمية ما دام الخنس عيباً. قلت: أكثر ما يكون الخنس في البقر وحشيها وإنسيها، ولكنهم بعد أن سمو البقرة خنساء، بذلك، نظروا إلى عينيها، وهي من الحور والجمال على قدر كبير، فأغراهم ذلك ولكنهم ظلوا على تسميتها لعلاقة بأنفها، وإن كان الإعجاب بعينيها. ومن هنا جاء النعت الثاني: الكُنْسُ جَمْعُ كَانَسَةٍ، على غير قياس، وهي الآوية، أي أوت إلى بيتها، وهو الكناس؛ ويخص بالطباء ونحوها. وقد نعتت الكواكب به لأنها تستتر مدة لا تظهر فيها كما تكس الأطباء، ونعتقد أن الكنيس والكنيسة مشتقان لمعنييهما لعلاقة بذلك.

وهي متحيّرة، لأنها تتحيّر في فلك البروج، كأن شيئاً يعوق تقدمها؛ فهي تتراجع ليلة عن ليلة. وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، وعطارد، والزهرة.

ويسمى المريخ بهَرَاماً، والمشتري برجيساً، ولعلهما فارسياً، وتسمى الزهرة أناهيد، ونراها سميت به لعلاقة بالنهد من الأنثى لانتفاخها وارتفاعها، أو بالفرس النهد: المجتمع العالي.

قال رؤبة بن العجاج في البرجيس:

كافٌ حَ بَعُ دَ النَّثْرَةَ	البرجيس (٣١) رَجَز
-----------------------------	--------------------

والنثرة من المنازل الثماني والعشرين، والمقصود المشتري وإن لم يكن في المنازل. وقال الكميت بن زيد الأسدي:

(٣١) المرزوقي - الأزمنة والأمكنة ٣٦٥/٢.

ثم استمرَّ ولألشباه تذكره كَأَنَّهُ الكوكب المَرِيخُ أو زُحَل (٣٢) بسيط

والمَرِيخ، كما تلاحظ، صفة للكوكب، ولكنهم أقاموها مقام الموصوف، والمريخ أصلاً السهم الطويل، نعت له يفيد المبالغة، وهو كذلك إما لأنه يراشُ ويُمَرِّخ، أو لأنه يمرق من الرَّمِيَّة ويمرخ جوفها، قال الشماخ بن ضرار: من الطويل

كما سطع المريخ شمَّره العَالي (٣٣)

والعالي من الغلوة، الذي يضرب السهم ليقبس بما قطع من الأرض. وتعكس كلمة "سطع" العامل في نقل التسمية إلى الكوكب المريخ لعلاقة السطوع بينه وبين السهم الصقيل، تنتظر إلى النجم والكوكب ليلاً فتراه كأنه رأس سهم أو رمح يتلألأ في الشمس.

وَزُحَل من الزَّحَل، وهو الحركة البطيئة والتحوُّل عن المكان كالزحف، وأصل الدلالة في ذلك كله للحرفيين الأول والثاني (زح). قال الكميت بن زيد الأسدي.

ليس عن رِحَلَةٍ مَزْحَلٍ (٣٤) من المتدراك

أي مُنَحَوِّل، وسمي به لأنه يتراجع عن موضعه في الليالي.

والزهرة مسماة بإزهارها واتساع نورها وسطوعه. وقيل في عطارده إنه من العطرده، وهي الجري فيه اضطراب، وذلك لسرعته، ولم أقف على قول في المشتري، وتعليل تسميته مشكل، ذلك بما هو مشتق من جذر لا يتعلق بالأجرام السماوية، ولا نراه إلا لخرافة ربما كانوا نسجوها حوله.

(٣٢) ديوان الكميت ٢/٢٨.

(٣٣) اللسان (مرخ).

(٣٤) ديوان الكميت ٢/٣٠.

ويلاحظ بجلاء، أن أسماء الكواكب الخمسة عربية، الأمر الذي يشير إلى معرفتهم المبكرة بالسماء وأجرامها، وفي ذلك يقول كارلو نلّينو: "إن عدم معرفة اشتقاق أسماء الكواكب الخمسة المتحيرة، وعدم وجود مشابهة ظاهرة بينها وبين أسمائها في اللغات السامية والفارسية، يدل على أنها قديمة الأصل عند العرب"^(٣٥)، ولعل هذه واحدة من مرات قليلة لم يغط نلّينو فيها العرب.

النجم:

النجم، لغة، مصدر نجم ينجم نجماً ونجوماً، إذا برز وظهر. ويطلق على نوع من النبات يتسطح فوق الأرض، والحجازيون يسمون النجيل نجمةً وثيلاً، والنجم في السماء مفردٌ أو جمع نجمة، وسمي به لأنه يظهر فيها ليلاً ويبرز، أو تشبيهاً بنجم الأرض؛ العشب سالف الذكر.

ويطلق العرب على الثريا اسم "النجم"، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن الشواهد التي استُخدم فيها لفظ النجم لدلالة عامة على الجرم السماوي، نجماً كان أم كوكباً، قول طرفة بن العبد البكري: الرمل

إن تُنَوِّلُهُ فقد تمنعه وتريه النجم يجري في الظهر^(٣٦)

ولا نظن أن المقصود هنا الثريا أو نجم آخر دون غيره. وجدير بالذكر أن عجز هذا البيت يضرب مثلاً في لهجات العرب الحديثة لمن يجد المشقة في عمله.

(٣٥) نلّينو ص ١٠٦.

(٣٦) ديوان طرفة ص ٦٧، وانظر لمثله امرأ القيس ١٩، ٢٤١ وشرح ديوان كعب ص ١١٢ والكميت ١٥٦/١ وعترة ص ٦٩ ومجمع الأمثال ص ١١٥.

ونعتقد أن كلمة "كوكب" أقدم من كلمة "نجم" في الاستخدام العربي،
تعبيراً عن الواحد من الأجرام العلوية، وذلك استناداً إلى ما يلي:

١- يطلق "النجم" على الثريا علماً عليها، وفي الحديث: "إذا طلع النجم
رفعت العاهة"^(٣٧)؛ وفي رواية "العاهات"؛ والمقصود عاهات النخل.
واختصاص اللفظ بمسمى يقلل من تعميمه لأشباه المسمى. ومن الشواهد التي
استخدم فيها النجم علماً على الثريا قول أبي ذؤيب الهذلي:

فوردن والعيوقُ مَفْعَدَ رَابِيءِ الضَّرْبَاءِ خَلْفَ النَجْمِ لَا يَنْتَلِعُ^(٣٨) كامل

أي: ونجم العيوق من وراء الثريا كأنه رقيب ضرباء القداح. وقال الأسود بن
يعفر:

وُلِدْتُ بِحَادِي النَجْمِ يَتَلُو قَرِينَهُ وبالقلب قلبِ العقربِ المتوقد^(٣٩) طويل

وحادي النجم هو الدبران من المنازل، ويسمى تالي النجم، وتابع النجم
والمجدح. وقال الأخطل التغلبي:

فهلا سألتِ الطير ليلة جنته بضيقه بين النجم والدبران^(٤٠) طويل

وضيقة علم على منزلة بين الثريا والدبران، وقد يعدل القمر وينزلها، وليس
فيها نجوم.

(٣٧) أبو حنيفة - المسند ص ١٢٨.

(٣٨) المرزوقي - شرح الحماسة ٤٨٣/٢.

(٣٩) نفس المرجع ٣٤٨/٢.

(٤٠) الأخطل - ديوانه ص ٢٣٣.

٢- الثريا مجموعة من النجوم متقاربة تظهر كلطخة غيم؛ والنجم، العشب المعروف، يفترش في جماعات صغيرة قد تتصل، ولونه بين الخضرة والبياض، بل ما أشبهه بلطخة غيم، لا سيما إذا كان نديا، فالشبه بين نجم السماء - الثريا- ونجم الأرض قائم، ولكنه غير قائم بين نجم الأرض وسائر النجوم في السماء، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الدلالة العامة للمادة. قال خدّاش بن زهير:

إذا ما الثريا أظلمت في اجتماعها فويق رؤوس الناس كالرُفْقَةِ السَّفْرِ (٤١) طويل

حيث أشار الى ما يجعلها شبيهة بالغيم، وشبهها بالجماعة المسافرين معاً فهم جمع متفرق كنجومها الست.

٣- إنّ نظائر النجم والكوكب مشتقة في ما يسمى باللغات السامية (وهي لهجات عربية قديمة فيما نرى) من جذر الكوكب (وكب، كوب) وهو من الأول مُصَدَّرٌ بكاف زائدة ومن الثاني بتضعيف الكاف، وقيل إنه من جذر رباعي هو (كوكب) بعدّ واوه أصيلة (٤٢).

فالنجم في السريانية **كوك**: كُكُو (٤٣)، والكوكب: **كوك**:

كوكبو (٤٤)، وتتصرف **كوكبو**: كوكبو (٤٥) كوخاق لكايهمما

(٤١) ابن قتيبة - الانواء ص ٢٩.

(٤٢) اللسان (كوكب).

(٤٣) P. Smith P. 208

(٤٤) Ibid P. 268

(٤٥) Ben Yehuda P. 204, 255

في العبرية. ومثل ذلك في التجريدية (إحدى اللهجات الجعزية في أرتريا)
: كوكاب. وفي هذه النظائر ما يقطع بأن إطلاق النجم
والنجمة على ما يرى في السماء إنما كان متأخراً عن إطلاق الكوكب، وأنه
من المجاز سواء قصد به الثريا أو غيرها.

ونظن أن "الكوكب" منحوتة من المادتين "كب" و"كوب"؛ وعلاقته
بدلالة الأولى أن أجرام السماء ترى كأنه في موكب واحد متجدد، وعلاقته
بدلالة الثانية أن الكواكب مستديرة في ظاهرها، وتستدير في سيرها في
أفلاكها، وكل كاف فواو الى استدارة وتدوير. والكوكبة من الفرسان المجموعة
منهم في موكب واحد، وفي الدارجة الفلسطينية يقولون في البقر إذا جرت في
جماعات حين تؤذيها حشرات الصيف "كوكبت وكيكبت"، وأنا لنرى في ذلك
ما يرسخ ما ذهبنا إليه.

الشُّهُب:

الواحد شهاب، وهو لغة الجذوة والقبس، ويطلق تشبيهاً على ما ينقض
من أجرام السماء كأنه شقة من نار. قال تعالى: "وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها
مُلْبِتٌ حرساً شديداً وشهباً ❁ وإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَنْ يَسْمَعُ
الآن يجد له شهاباً رصداً"^(٤٦). وقال ابن المعتز:

. كأثر الشهاب في السماء^(٤٧)

(٤٦) سورة الجن، ٨، ٩.

(٤٧) ديوان ابن المعتز ص ١٨، ٤٤ (الشهب).

ولم تقف على الكلمة في أدب الجاهلية، غير أن شعراءهم وصفوا
الشهب وتحدثوا عنها. ومن ذلك قول النابغة الذبياني:

وانْقَضَ كَالْكُوكَبِ الدَّرِّيِّ، مُنْصَلْتَا يَهْوِي، وَيَخْلَطُ تَقْرِيْبًا بِإِحْضَارِ^(٤٨) بَسِيْطٍ

حيث شبه فرسه في عدوه بالشهاب المنقض. وقال أوس بن حجر:

وانْقَضَ كَالدَّرِّيِّ يَتْبَعُهُ نَقْعٌ يَثْوُرُ تَخَالَهُ طُنْبًا^(٤٩) سَرِيْعٍ

والدَّرِّيُّ والدَّرِّيُّ الكوكب الكبير، وبهما قرىء قوله تعالى: "كأنه كوكب
دري"^(٥٠) وينصرف الدَّرِّيُّ للشهاب، لأنه يدرأ به، أي: يدفع. وهو فِعِيْلٌ، من درأ،
والدَّرِّيُّ نسبة إلى الدرة، الجوهرة، للونه، وقد روي أن أبا عمرو بن العلاء سأل رجلاً
من بني سعد بن بكر من أهل ذات عرق - شرق مكة - قال: هذا الكوكب
الضخم، ما تسمونه؟ قال: الدَّرِّيُّ^(٥١).

نجم الذئب: وهو نجم يظهر في الأفق الغربي، يُتَطَيَّرُ به. قال ابن الأحنف
يصف حاله:

قد صرْتُ في الأرض كما في الأفق نجم الذئب^(٥٢) مجزوء الرجز

وهو النجم ذو الذؤابة، وقد أَلَّفَ الكندي، يعقوب بن إسحق، رسالة فيه
أسمائها "الكوكب ذو الذؤابة"^(٥٣)، والذئب والذؤابة زائدتان.

النيزك:

لم أجد هذه الكلمة في أثر قديم لدلالاتها الحالية، والنيزك في العربية،
والنيزق: الرمح القصيرة. وقد شبهوا ذلك في السماء به. وقد عدّه الجواليقي

(٤٨) القرشي - الجمهرة ص ١١٦، وانظر قول الكميت في المريح وزحل.

(٤٩) ديوان أوس بن حجر، ص ٣.

(٥٠) سورة النور، ٣٥.

(٥١) الجوهري - الصحاح - ٤٨/١، ٤٩.

(٥٢) ديوان ابن الأصفهاني، ص ٧٥.

(٥٣) ابن أبي أصيبعة، ص ٢٩١.

في المُعَرَّب، وقال: وقد تكلمت به العرب الفصحاء قديماً^(٥٤) ولا ندري علام
اعتمد في مذهبه، قال ذو الرمة:
فيا من لقلب مستهام كأنه من الوجد شكَّتهُ صدور النيازك^(٥٥) طويل
أي الرماح القصيرة، وتشبيهه النيزك بالرمح حَسَنٌ.

ولا شك في أن العرب شاهدوا سقوط بعض النيازك على الأرض، فقد
جاء في الكشاف أن الكعبة بنيت من خمسة أجبل، وذكرها، وأن الحجر
الأسود قد جيء به من السماء^(٥٦). وقد كان العرب يربطون بين هوي الشهب
والنيازك وبين الأحداث الأرضية. روى ابن عباس، قال: بينما رسول الله - ﷺ -
جالس في نفر من الأنصار إذ رُمي بنجم فاستنار فقال: ما كنتم تقولون في
مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم^(٥٧) وما
يزال بعض العرب يزعمون مثل ذلك إلى يومنا هذا.

أعلاط الكواكب:

وهي الدراري والنجوم التي لا أسماء لها، والواحدة عُطِطٌ وهي، في
الأصل، الناقة لا سمة فيها فتعرف بها. ولا يستدل بها على طبع، وربما
اhtدوا بها في البر والبحر. وهي الكواكب **المخسولة** أيضاً، مفعولة من خَسَل
لدلالة تصاقب دلالة "غسل" فكأنها غسلت فذهب اسمها وامحى. قال شاعرهم
يتمدح:

ونحن الثريّا وجوزاؤها ونحن الذراعان والمرزم متقارب

(٥٤) الجواليقي - المعرب ص ٣٣٢.

(٥٥) عبدالقدوس أبو صالح - شرح ديوان ذي الرمة، رسالة نكتوراه مخطوطة بجامعة القاهرة، ص ٩٠٢.

(٥٦) الزمخشري - الكشاف، ١/١٨٧.

(٥٧) نفس المرجع ٤/٦٢٦.

وأنتم كواكب مَحْسُولَةٌ ترى في السماء ولا تُعَلِّمُ (٥٨)

وَأَسْنَاخُ النُّجُومِ (٥٩)، جمع سِنْخٍ، وهي النجوم التي لا ينزلها القمر وليست من الصور النجومية الاثنتي عشرة (البروج) ولا هي من المنازل.

والبابانيات (٦٠): وهي أسناخ النجوم التي ترى في نصف الكرة الشمالي تجاه القطب، ومن جهتها تهب ريح الشمال، وأولها قلب الحوت -القطب- وهو كوكب لا يزول، فالجدي والفرقدان.

نجوم الأخذ:

وهي النجوم التي يعلم بها على المنازل، يأخذ القمر في كل منها ليلة واحدة. قال الشاعر:

وَأُخُوتُ نَجُومِ الْأَخْذِ إِلَّا أَنْضَةً
أَنْضَةً مَحَلٍّ لَيْسَ قَاطِرُهَا يَثْرِي (٦١) طويل
وَأُخُويُّ النِّجْمِ أَنْ يَسْقُطَ دُونَ أَنْ يَكُونَ مَعَ نَوْتِهِ مَطْرًا، وَالْأَنْضَةُ جَمْعُ نَضِيضَةٍ، وَهِيَ الْمَطْرَةُ الضَّعِيفَةُ. وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ:

وَهُمْ إِذَا خَوَّتِ النُّجُومَ فَإِنَّهُمْ
لِلطَّائِفِينَ السَّائِلِينَ مَقَارٍ (٦٢) طويل
وَالْخُويُّ كَالْهُويِّ، تَقُولُ: خَوِيَ النِّجْمُ يَخُوي خَوَاءً وَخُويًّا.

وَالْإِنْقِمَاسُ، وَالْإِغْتِمَاسُ، وَهُمَا أَنْ يَسْقُطَ الْوَاحِدُ مِنْ نَجُومِ الْأَخْذِ، وَيَغْرِبُ صَبَاحًا. قَالَ الرَّاعِي النَّمِيرِيُّ:

بَقَايَا الذَّرَى حَتَّى تَعُودَ عَلَيْهِمْ
عَزَّالِي سَحَابٍ فِي إِغْتِمَاسَةِ كَوْكَبِ (٦٣) طويل

(٥٨) الزمخشري- أساس البلاغة ١/١٢١.

(٥٩) اللسان (سنخ).

(٦٠) نفس المرجع (بين).

(٦١) معجم المقاييس (أخذ) والمرزوقي- الأزمنة والأمكنة ١/١٨٥.

(٦٢) شرح ديوان كعب ص ٢٦.

(٦٣) ابن قتيبة - المعاني الكبير - ص ١١٥٨.

أي في حين غروبه، وقال ذو الرمة:

أصاب الأرض مُنْقَمَسُ الثريا بساحية وأتبعها طلالاً^(٦٤) وافر

أي النوء المصاحب لغروبها... أصابهم بمطر غزير سحا الأرض: قشرها
وتخاوصُ النجوم: أن تجنح للغروب، والخصوص أصلاً في العيون، وهو كالحول
مع ضيق العين. وقيل في النجم لأنه إذا مال للغروب ضعف ضوءه وخبأ فبدأ
صغيراً.

وبعد، فقد عرضنا في هذه الدراسة جملة من المفردات التي استخدمها
العرب في التعبير عن الأجرام السماوية وما يعرض لها دون أن نعرض
للأسماء التي خصوا بها هذا الجرم أو ذلك، كالعقرب والميزان وسهيل والجدي
ونحوها. ونأمل، في دراسة لاحقة، أن نفصل القول في ما أثر عن العرب من
ألفاظ تخص الشمس والبروج ومنازل القمر.

د. يحيى عبدالرؤوف جبر

(٦٤) عبدالقدوس أبو صالح ص ٨١٧.